

تفسير ابن كثير

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا^ط إِنَّ عَلَيْكَ^ق إِلَّا الْبَلَاغُ^ق وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا^ط وَإِنْ تُصِيبُهُمْ^ط سَيِّئَةٌ^ط بِمَا قَدَّمَتْ^ط أَيْدِيهِمْ^ط فَإِنَّ^ط الْإِنْسَانَ كَفُورٌ^ط

وقوله : (فَإِنْ أَعْرَضُوا) يعني : المشركين (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا) أي : لست عليهم

بمصيطة . وقال تعالى : (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [البقرة : 272]

، وقال تعالى : (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) [الرعد : 40] وقال هاهنا : (إِنَّ

عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) أي : إنما كلفناك أَنْ تَبْلُغَهُمْ رسالة الله إليهم . ثم قال تعالى : (وَإِنَّا إِذَا

أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا) أي : إِذَا أَصَابَهُ رِخَاءٌ وَنِعْمَةٌ فَفَرِحَ بِذَلِكَ ، (وَإِنْ تُصِيبُهُمْ

(يَعْنِي النَّاسُ) (سَيِّئَةٌ) أي : جَدَبٌ وَنِقْمَةٌ وَبَلَاءٌ وَشِدَّةٌ ، (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) أي :

يَجْحَدُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ النِّعْمَةِ وَلَا يَعْرِفُ إِلَّا السَّاعَةَ الرَّاهِنَةَ ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ أَشْرَ وَبَطَرَ ، وَإِنْ

أَصَابَتْهُ مِحْنَةٌ يَتَّسِقُ وَقَنْطَ ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - [للنساء] يَا

مَعْشَرَ النِّسَاءِ ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ " فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : وَلَمْ يَأْسُ رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ

: " لِأَنَّهُنَّ تَكْثُرُنَّ الشَّكَايَةَ ، وَتَكْفُرُنَّ الْعَشِيرَ ، لَوْ أَحْسَنْتُ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ تَرَكْتُ يَوْمًا

قالت : ما رأيت منك خيرا قط " وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده ،
وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالمؤمن كما قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - " إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ،
وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن " .